

من الآثار القبيحة للمعاصي (٢٨)

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه أما بعد،،
وعند الاحتضار المصيبة أشد!! :

هذا وثم أمر أخوف ممن سبق ذكره، وأعظم منه وأدهى وأمر، وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله تعالى، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثيراً من المحتضرين أصابهم ذلك، حتى قيل لبعضهم: قل لا إله إلا الله، فقال: شاه ورخ غلبك، ثم قضى، وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فقال:

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب

أي يتمنى أن تقع امرأة في يده؛ لأن هذا ما كان قلبه معلقاً به دائماً، فلم يطاوعه لسانه بذكر الله، ولم يخشع قلبه لذكر الله تعالى، فمات وهو على حاله، وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء... ثم قال لمن يدعوه: وما ينفعني ما تقول ولم أدع إلى معصية إلا ركبته، ثم مات ولم يقلها، وقيل لآخر ذلك، فقال: كلما أردت أن أقولها لساني يمسك عنها...

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة:

لم يحسب العاصي حساباً لهذه اللحظة الحاسمة، تلك هي لحظة لقاء الله التي تحدد مصيره، هذه هي الخاتمة التي لا بد أن يحسب لها العبد ألف حساب، وكما شاهد الناس عبراً كثيرة من أمثلة من خانته لسانه عند الخاتمة لأنه لم يحسب لها حساباً ولم يحضر لها جواباً، فإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله بما يريده منه من المعاصي، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى، وعطل لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن به عند سقوط قواه، واشتغال قلبه بما هو فيه من ألم النزع، وقد جمع الشيطان له كل قوته وهمته، وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه غرضه، وذلك آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحالة، فمن ترى يسلم على ذلك؟ فهناك " **يُنَبِّتُ** **اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** " [سورة إبراهيم:

٢٧]، فكيف يوفق بحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره؛ واتبع هواه، وكان أمره فرطاً؟

فبعيد عن النجاة في هذه اللحظات الحاسمة من كان قلبه بعيداً عن الله تعالى، غافل عنه متعبد لهواه، مذل لشهوته، ولسانه يابس من ذكره، وجوارحه معطلة من طاعته، مشتغلة بمعصية ربه، بعيد عن هذا أن يوفق للخاتمة بالحسنى.

(يتبع بالعدد القادم تكلمة موضوع نسأل الله تعالى حسن الخاتمة)

من كتاب الجواب الكافي